الفصل الثاني: معايير اختيار موضوع البحث

غالبا ما يواجه طلبة السنة الثانية ماستر- في بداية سنة التخرج- صعوبات تتعلق بكيفية اختيار موضوع المذكرة، فمنهم من يرتجل، ومنهم من يتوجه للمكتبة، ومنهم من يتصفح محركات البحث في الإنترنيت، ومنهم من يلجئ للأستاذ المشرف، إلخ. تبقى هناك مجموعة من المعايير التي يمكن أن تختصر الطريق على الطالب، بالمقابل هناك ثلة من الأخطاء التي يمكن تلافيها، وفي كلتا الحالتين تصوب قراره وتزيد من نجاعة اختياره.

1. أسس اختيار موضوع البحث:

يمكن ذكر أهم ثلاثة أسس بإمكانها تأطير اختيار موضوع طالب السنة الثانية ماستر:

1.1 احترام التخصص العلمي:

غالبا ما ترفض مواضيع الماستر من قبل اللجان العلمية، وذلك بسبب عدم احترام موضوع مشروع البحث للتخصص العلمي المعني. وقد يعني عدم احترام التخصص العلمي، بعد أحد أو كلا متغيري الدراسة لما هو مطلوب في المواضيع التي لها علاقة مباشرة بصلب التخصص.

2.1 إبداء رغبة الباحث (ميول الباحث):

لا يمكن بأي حال من الأحول التفوق والتميز في العمل البحثي، وبلوغ القيمة المضافة المرجوة من دون اختيار موضوع ينطبق مع قناعات الطالب. ويمكن تكوين هذه القناعة الشخصية، وذلك من خلال تأثره ببحث كلف به وقام بانجازه، تحليل ملهم صادر من أستاذ قدير، قراءة كتاب أو مقال علمي، حضور مواعيد علمية منظمة من قبل الكلية، إلخ.

3.1 التحصيل العلمي (المهارات المكتسبة):

لا تعبر النقاط التي تحصل عليها الطالب في مسار تكوينه حتميا على التحصيل العلمي في المقاييس المدرسة. ويمثل التحصيل العلمي المهارات المكتسبة من قبل الطالب خلال سنوات تكوينه الأكاديمي، والتي تمكنه فيما بعد من حل المشكلات في المحيط السوسيو اقتصادي خارج الجامعة. ويمكن للمهارات المكتسبة في أكثر من مقياس أن تكون محركا لاختيار موضوع المذكرة، لما تمثله من ميزة ومصدر ثقة اكتسبها الطالب في مسار تكوينه.

2. مواضيع البحث التي يجب الابتعاد عنها عند عملية الاختيار:

هناك أخطاء يقع فيها الكثير من الباحثين في بداية مشوارهم البحثي، والتي غالبا ما تصحح فيما بعد، سنحاول عرض هذه الأخطاء بهدف تلافيها وتصويب اختيار الباحث.

1.2 المواضيع الجديدة التي لا تتوافر على مراجع علمية كافية:

غالبا ما تجلب المواضيع الجديدة الباحث نظرا لأنها مواضيع الساعة، والتي غالبا ما تسلط عليها الأضواء، ويخصص لها الكثير من الاهتمام من قبل الملتقيات العلمية، وسائل الإعلام والمجتمع ككل. بالمقابل قد لا تكون قد تناولت من قبل الباحثين المتخصصين، والذين لهم خبرة كافية في تحليل ومناقشة مثل هذه المواضيع، والتي قد تخفي في طياتها مفاجئات ومطبات قد تعصف بالباحث المبتدأ.

2.2 المواضيع المتكررة والمملة:

على عكس سابقتها، قد تنال بعض المواضيع الفرصة لمعالجة الإشكاليات المنبثقة منها، ويتم معالجتها في فترة زمنية طويلة من قبل الكثير من الباحثين ومن عدة زوايا. إن الاستمرار في تناول مثل هذه المواضيع التي لا تحتوي على إشكاليات حقيقية، قد تدفع الباحثين للسقوط في فخ التكرار، من دون خلق قيمة مضافة في تراكم المعرفة.

3.2 المواضيع التي يشوبها الاختلاف أو التعصب:

تشهد بعض المواضيع الكثير من التجاذبات والآراء المتناقضة، بسبب غياب أدلة قطعية لنبذ ذلك الاختلاف. إن الخوض في مثل هذه المواضيع قد يؤجج الاختلاف، ويخلق نعرات من دون خلق قيمة مضافة. هناك من الدراسات التي تخرج عن إطارها الموضوعي، بسبب تعصب الباحث لرأيه الشخصي أو انغماسه في أفكار نتاج تيار ما... وقد يغلب على البحث في هذه الحالة الذاتية والوصف الجاف العاري من الموضوعية.

4.2 المواضيع المحدودة جدا والمواضيع المفتوحة جدا:

هناك بعض المواضيع التي لا تحتاج بحوثا لإلقاء الضوء عليها، نظرا لمحدودية المتغيرات المتحكمة في الدراسة، والتي تم استهلاكها مكانيا وزمنيا من قبل دراسات سابقة، حيث لا يمكن إضافة شيء جديد قد يسهم في تراكم علمي إضافي. بالمقابل، هناك من المواضيع التي لا يمكن بأي حال من الأحوال

تناولها، نظرا لاستحالة التحكم في المتغيرات المؤثرة والمتأثرة القادرة على وصف تطور ذلك الموضوع أو تلك الظاهرة.

3. القرارات الخاطئة التي يجب تجنبها:

سنحاول فيما يلي عرض بعض القرارات الخاطئة للباحث عند اختيار موضوع بحثه، والتي يمكن الاستفادة منها وتجنبها حتى يكون الاختيار صائب.

1.3 قلة الاطلاع على الدراسات السابقة:

كلما اطلع الباحث على البحوث والدراسات التي تناولت الموضوع المراد اختياره، كلما اتضحت له معلم البحث. إن الدراسات السابقة ما هي إلا لبنات قد أنجزت لها نقطة بداية ونقطة نهاية، فالباحث الحقيقي لا يعيد البحث، بل ينطلق من حيث توقفت البحوث السابقة. وللتوضيح أكثر، نجد في نهاية البحث ما يصطلح عليه "آفاق البحث"، والتي تمثل نقطة الانطلاق للبحوث المستقبلية.

2.3 التسرع في اختيار الموضوع:

قد تكون الآجال الموضوعة من قبل الإدارة، أو تلكأ الباحث... هي من الأسباب التي قد تدفع بالباحث للتسرع في اختيار أي موضوع بحث. فغياب نظرة شاملة وكافية على ما ستكون عليه الخطوط العريضة للبحث، سيمثل فخ قد يقع فيه الباحث، وقد يكون هذا الفخ هو الجهد المبذول أو/و الوقت المستغرق أو/و المال المصروف لبلوغ الأهداف المسطرة، والذي كان من الممكن تجنبها أو تقليصها لو كان اختيار الموضوع قد خضع لأسس صلبة.

3.3 الوقوع في غيابة التحمس المفرط:

إن التحمس الشديد لتناول موضوع ما أو لإبراز نتيجة ما، قد يجعل من الباحث يستغني عن نصائح من سبقوه في البحث. و قد يدفع التحمس الباحث للخوض في مواضيع قد لا يكون لها مخرج، أو بلوغ نتائج غير واقعية، وهو نوع من الفخ الذي يدفع الباحث للانغماس في الذاتية، ومن ثم الابتعاد عن الموضوعية في اختيار و تناول موضوع بحثه.